المحاضرة الأولى

مدخل إلى علم الدلالة

1-تمهيد:

تتطلب الحياة داخل المجتمعات التواصل بين أفرادها بشتى الوسائل المتاحة لهم، فمنها ما حباهم به الله كالقدرة على الكلام وإنشاء التراكيب، ومنها ما ابتكره الإنسان من وسائل تواصلية اصطناعية وظفها في مناحي عديدة ولأغراض شتى، ومن ثمة كانت وسائل التواصل منقسمة بين فرعين كبيرين هما الوسائل اللغوية (اللغة تحديدا) ومنها غير اللغوية كالحركات والإشارات والإيماءات وغيرها كثير.

غير أن التواصل في حد ذاته وبغض النظر عن الوسائل التي يتحقق بها، ضرورة بشرية لا مناص منها، فتحقيق الغايات وتلبية الحاجيات وإبلاغ الغير بما يجول في خواطرنا وأنفسنا لا بد له من وسيلة ما حتى يتحقق بها ، وفي هذا السياق يشير بعض فقهاء اللغة العرب القدامى إلى ذلك التلازم بين التواصل والوسيلة التي يتحقق من خلالها من ناحية، وكون التواصل حتمية اجتماعية بل إنسانية بها تتجلى مدنية الإنسان وميله إلى العيش داخل المجتمعات لارتباط جزء كبير من مطالبه المادية والمعنوية بأفراد تلك المجتمعات، وفي هذا الصدد ألمح العديد من علمائنا القدامى إلى حقيقة " مدنية الإنسان بطبعه " في إشارة إلى عدم إمكانية استقلال الإنسان بكافة حاجياته إذ لا يمكنه أن يكون الطبيب والمهندس والمعلم والفلاح والبائع و.....في الآن نفسه، ومن ثمة انقسمت حاجاته بين كل هؤلاء فلزم عليه اللجوء إليهم أو التواصل معهم والتواصل لا يكون إلا بوسيلة ومنها اللغة.

2-موضوع علم الدلالة:

إن دراسة وسائل التواصل سواء كانت لغوية أوغير لغوية لا تقع كلها تحت دائرة اهتمام علم الدلالة، فليس من مهام هذا العلم (la sémantique) إلا الاهتمام بالوسيلة اللغوية (اللغة)، وبعبارة أخرى الدليل اللغوي(signifiant linguistique) ، لكن هذا الكلام

لا يعني أن علم الدلالة يهتم بالدليل اللساني أو اللغوي كما ذكرنا على وجه الإطلاق ، بل يهتم به في إطار واضح ومحدد ومنه جاء تعريف العلماء المحدثين لعلم الدلالة بقولهم هو العلم الذي: **يهتم بالشروط الواجب توفرها في الدال اللساني حتى يكون قادرا على حمل المعنى.**

وإلى جانب هذا التعريف الدقيق قد يجد القارئ مجموع من التعاريف لعلم الدالة غير أنها تتسم بالعمومية تارة والتضارب مع موضوعات علوم أخرى قريبة من اختصاص علم الدلالة، فمنهم من يعرفه بكونه العلم الذي يبحث في المعنى ومنهم من يراه علما يتعلق ببحث القضايا الدلالية ، او ذلك العلم الذي يبحث في نظرية المعنى، أو بحث العلاقة التي تكتنف الألفاظ بمعانيها.

3-علم الدلالة والمعجمية:

كثيرا ما يختلط الأمر على الطالب المبتدأ في الجانب المتصل باهتمام كل من علمي الدلالة والمعجمية، ومناط هذا الخلط أن كليهما يتعرض لمعنى الكلمة ومختلف المعاني التي شهدتها طيلة حياتها واستعملاتها في لغة معينة، غير أن الفرق بينهما بسيط جدا ويكمن في ضروة معرفة عملا كل من التخصصين، فما هو عمل عالم الدلالة أو ما هي مهمته، وما هي مهمة المعجمي أو بما هو مطالب به في دائرة تخصصه.

ومنه نقول إن عالم الدلالة ليس من صميم أبحاثه الوقوف على معنى كلمة ما، فمثلا هو لا يجيب عن سؤال ما معنى كلمة "عين"، وما هي مختلف المعاني التي تحتويها، بل يجيب عن تساؤل آخر وهو كيف لكلمة عين المكون من هذه المادة الصوتية:ع-ي -ن- أن تدل على ما دلت عليه، ومن ثمة ما هي الشروط التي تحققت لها حتى دلت على تلك المعاني، أما المعجمي فهو مطالب بإعطائنا معاني كلمة "عين" وإثباتها في المعجم مشفوعة بالسياقات الاستعمالية التي وردت فيها.

4-علم الدلالة والعلوم الأخرى:

إن علم الدلالة باعتباره يتناول الرمز اللغوي في إطار الشروط الواجب توفرها له حتى يكون قادرا على حمل المعنى، وبما أن هذا الأخير (أي الرمز اللغوي أو الألفاظ بعبارة بسيطة) يتحرك داخل فضاء مجتمعي وفي سياق تواصلي جماعي فإن علم الدلالة سيكون ذا صلة بمجموعة من العلوم والمعارف التي تتقاطع معه في فكرة التواصل ووسيلة التواصل ومادة التواصل.

فهو ذو صلة بعلم الاجتماع مادام التواصل ذو طبيعة جماعية، وهو على علاقة بعلم النفس لأن المعاني تعترضها جوانب نفسية وذهنية كالتصورات والأفكار والمفاهيم، كما لا يمكن تجاهل علاقة علم الدلالة بالفلسفة فقد كان ولازال المعنى أو الدلالة مبحثا فلسفيا يشترك في عدة مسائل وإشكالات مع علم الدلالة، وزيادة على كل ذلك لا يمكن القفز على علاقة علم الدلالة أيضا بالشجرة الأم وهي اللسانيات التي يعد هو جزءا منها وإن تأخر ظهوره مقارنة بعلوم أخرى لأسباب سنفصل فيها لاحقا.